نهاية وبداية

الحمد لله مصرف الأيام والشهور، ومجري الأعوام والدهور، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو العفو الغفور، ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم النشور، وبعد،،،

فما أسرع مرور الليالي والأيام! وانقضاء الشهور والأعوام! والموفَق الملَّهم من أخذ من ذلك دروسًا وعبرًا، قال الله تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا) [الفرقان: 62]**.

إننا نودع عامًا مضى من أعمارنا سوف يسألنا الله عنه، ونستقبل عامًا جديدًا لا ندري كم لنا فيه من الليالي والأيام؟ **(يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ) [آل عمران: 30]**، فطوبى لمن أخذ العِبرة، والحسرة لأرباب الغفلة، فأصلح مثواك حفظك مولاك، ولا تَبِعْ آخرتك بدنياك.

ولنا مع نهاية عام وبداية عام وقفات ودروس:

الدرس الأول: مرور الوقت قطع للعذر:

إن الوقت ليس من ذهب فقط كما يقول المثل الشائع، بل هو أغلى من كل جوهر نفيس، وحجر كريم، ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه لحظة يعرف فيها قدره وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم.

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، ليصلح ما أفسد، ويتدارك ما فات، وفي هذا يقول القرآن : **(وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) [المنافقون: 10]**، وكان الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعاً ومانعاً : **(وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ) [المنافقون: 11].**

والموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفَّى كل نفس ما عملت، وتجزى بما كسبت، ويدخل أهلُ الجنة الجنةَ، وأهلُ النار النارَ، هناك يتمنى أهلُ النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملًا صالحًا، وهيهات هيهات لما يطلبون، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء، يقول الله تعالى : **(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ * وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ) [فاطر: 36-37]**، لكنهم انقطعت حجتهم بهذا السؤال التقريعي: **(نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ)** فلم يجدوا له جواباً، فيقال لهم: **(فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ).**

فقد قطع الله الأعذار، حين أعطى كل مكلف من العمر ما يتسع لعمل ما كُلف به، وبخاصة من عاش حتى بلغ الستين من عمره، ففي هذا القدر من السنين ما يكفي لأن ينتبه الغافل، ويؤوب الشارد، ويتوب العاصي، وفي الحديث: **(أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً).** «صحيح البخاري»

الدرس الثاني: تنظيم الوقت:

ينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقَّوت على الموقَّوت.

وعن هذا المعنى حدَّث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ببعضٍ مما كان في صحف إبراهيم فقال: «وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ،» «صحيح ابن حبان »، ومعنى هذا الحديث يدور حول تنظيم الوقت بين العبادة والطاعة، وبين السعي على المعايش، وهكذا.

وينبغي للمؤمن وهو ينظم وقته أن يعرف أن لكل عمل وقتًا، فليس المهم إذن أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمن، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت

المناسب، ولذلك وقَّت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها، ولا التأخر عنها، ليعلمنا بذلك أن كل شيء في الإسلام يسير وفق نظام وترتيب، قال تعالى في شأن الصلاة : **(إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا) [النساء: 103]**، وقال في الصوم: **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ) [البقرة: 185]**، وفي الحج: **(ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ) [البقرة: 197]**، وفي الزكاة: **(وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ) [الأنعام: 141]**، وكذلك الحال في أمور الدنيا لا بد أن تُنظم الأوقات، وتُرتَّب الأولوليات، وأن تنجز ما كلفت به من أعمال في الوقت المناسب لا قبل ولا بعد، وإياك والعشوائية فإنها قرينة الفشل.

الدرس الثالث: نظام الحياة اليومي للمسلم :

ينبغي للمسلم إذا أراد أن يُبارك له في عمره أن يسير على نظام الحياة اليومي في الإسلام .

ويقتضي هذا النظام أن ينام مبكراً ويستيقظ المسلم مبكراً، يستقبل المسلم يومه من البكور الذي دعا الرسول لأمته بالبركة فيه، حين قال: **(اللَّهُمَّ بَارِكْ لأمَّتي في بُكُورِهَا).** «سنن الترمذي»

ومن الآفات التي ابتلي بها المسلمون أنهم غيروا نظام يومهم، فهم يسهرون طويلاً، ثم ينامون حتى تضيع عليهم صلاة الفجر، ويتخبطون طول اليوم من قلة النوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ)** «صحيح البخاري»

وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالصلاة والذكر، وانطلق إلى معترك الحياة نشيط الجسم، طيب

النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!

ويقوم بقراءة ما تسير له من الأذكار المأثورة عن رسول الله، ثم يتوجه إلى عمله اليومي ساعياً في طلب رزقه، والمسلم يعتبر عمله الدنيوي عبادةً وجهادًا إذا جدد نيته.

ثم يجعل له وردًا يوميًّا من القرآن الكريم، وينبغي أن يكون له حظ يومي من القراءة المنتظمة طلبًا للزيادة في العلم، كما قال الله لرسوله: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: 114]**، ومن الجميل أن يجعل في يومه بعض الرياضية الجسدية والترفيه المباح.

وهذا النظام اليومي للمسلم يزيد أو ينقص على قدر طاقة كل مسلم، كما قال حضرة النبي صلى الله عليه وسلم: **(اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ)** «مسند أحمد»

الدرس الرابع: قارن نفسك بنفسك:

كان علماء الأمة وسلفنا الصالح يحاولون دائما الترقي من حال إلى حال أحسن منها، بحيث يكون يوم أحدهم أفضل من أمسه، وغده أفضل من يومه .

فقارن بين أنت اليوم وأنت من عام، وسل نفسك: ما هي المهارات التي اكتسبتُها لم تكن عندي؟، ما هو العلم الذي حصلته ولم يكن موجودًا لدي؟، ما هي العبادات أصبحت مداوما عليها؟، ما هي العيوب التي عندي وعملت على إصلاحها؟، وقد وضع النبي أساس هذه الجملة في بناء النفس وتكوين الذات، حين لفت أناظر المسلمين أن ينظروا في عيوبهم ليصلحوها قبل أن يتكلوا على عيوب غيرهم: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ**" [صحيح ابن حبان].

نسأل الله أن يثبتنا على طاعته، وأن يبارك في أعمارنا، وأن يعيننا على إصلاح نفوسنا.

كتبه: محمد محمد إسماعيل محمد ملكه مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.